بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 22-7-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِهِ الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِهِ، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 85].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه 114]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر 9]

وقال جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة 11]

قال صلى الله عليه وسلم: **((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سَلَكَ الله به طريقاً من طرق الجنة))** [أبو داود والترمذي]

وروى ابن عبد البر عن أبي ذرّ –رضي الله عنه– قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** **((لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة))**.

قال الحسن البصري: (إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويبلغ المملوك مقام الملوك).

وقال سفيان الثوري: (خير الملوك من جالس أهل العلم).

عنوان خطبة اليوم:

(الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء)

●أيها الإخوة:

هذا كتاب خامس أعرضه عليكم في مجموعة كتب تتحدث في السياسة الشرعية، التي هي القسم الخامس من أقسام الفقه الإسلامي.

اسم الكتاب: ((الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء))

اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجيزي.

لم أعثر على سنة وفاته، لكنه أشار في كتابه أنه انتهى من تأليفه سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة.

قال المؤلف في مقدمة الكتاب: (جمعت نسخة مشتملة على ضبط قواعد السلاطين والقضاة والأمراء والوزراء والولاة مما لا بدَّ منه للناس من المسائل الشرعية من المشكلات والواقعات) وجعل كتابه **عشرة أبواب:**

الباب الأول في الإمامة، والثاني في شروط الإمامة، والثالث في كيفية حكم الإمام، والرابع في قواعد الإمامة وأحوالها، والخامس في الوزارة، والسادس في قواعد الأجناد، والسابع في المسائل الشرعية المتعلقة بالأمراء والسلاطين، والثامن في الحيل الشرعية، والتاسع في مسائل شرعية، والباب العاشر -الأخير- في مسائل متفرقة.

وها أنا أقرأ عليكم شيئاً مما ذكره في الباب الثالث (كيفية حكم الإمام) قال:قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وقال النبي عليه السلام: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتِي شَيْئا ، فَشَقَّ عليهم ، فَاشْقُقْ عليه ، ومَنْ وَلِيَ منْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئا فَرَفقَ بِهِم ، فَارفُق بهِ)) [أخرجه مسلم]

وقال عليه السلام: **((أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله يوم القيامة وأدْنَاهُمْ منه مَجْلِساً: إمَامٌ عَادِلٌ، وأَبْغَضُ النَّاسِ إلى الله تعالى وأَبعدهم منه مجلساً: إمَامٌ جَائِرٌ))** [أخرجه الترمذي].

اعلم أن الله جلت عظمته وتوالَت نعمه وتتابعَت آلاؤه وسبقَتْ رحمته أثبتَ في الآية السابقة عشرة أحكام رحمةً للملوك والأمراء، وتنبيهاً على حفظ المملكة وكمال أدب السلطنة.

الأول منها: أنه قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾، يعني: نحن أعطيناك الخلافة، فينبغي للملوك أن يعلموا أن السلطنة من الله تعالى ومن نعمه على الملوك لا من غيره، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]...، فالولاية نعمة من نعم الله تعالى، من قام بحقّها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده، ومن قصَّر عن النهوض بحقّها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى.

والثاني منها: أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾، يعني: أخذنا الخلافة من الغير ثم أعطيناك، فإذا لم تؤدِّ حق هذه النعمة ولم تشكر الله تعالى بمقابلة هذه النعمة أخذنا منك الخلافة وأعطيناها غيرك كما قال الله تعالى: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، فينبغي للملوك أن يعملوا في هذه المملكة العارية الفانية بالعدل والعمل الصالح ليحصل به سلطنة المملكة الباقية، ويكونَ قصدهم ألا يكونوا محرومين في الدنيا من الثناء الجميل وفي الآخرة من الأجر الجزيل.

والثالث منها: أن يعلم السلطان أن السلطة هي الخلافة من الله تعالى، فينبغي أن يتصرف في عباد الله تعالى بالأخلاق الحسنة المرضية والرأفة والرحمة، كما جاء أن **النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعثَ أحداً من أَصحابِهِ في بعض أمرِهِ، قَالَ: ((بشِّروا ولا تُنَفِّرُوا، ويسِّروا ولا تُعَسِّروا))**. [أخرجه مسلم]

والرابع منها: أنه قال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، أشار بذلك إلى أنه ينبغي أن يحكم الملك بين الرعية بنفسه ولا يعتمد على حكم غيره...

كان في زمن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – قحط عظيم، فوفد عليه وفد من العرب، واختاروا رجلاً من العرب للخطابة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا أتيناك من ضرورة عظيمة، وقد يبسَت جلودُنا على أجسادنا لفقد الطعام، وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام: إما أن يكون لله، أو لعباد الله، أو لك، فإن كان لله: فهو غنيٌّ عنه، وإن كان لعباد الله تعالى فادفعه إليهم، وإن كان لك فتصدق به علينا فإن الله يجزي المتصدقين، فتغرغرت عينا عمر – رحمه الله – بالدموع وقال: هو كما ذكرت، وأمر فقضى حوائجهم من بيت مال المسلمين، فلما همَّ الأعرابي بالخروج قال له عمر: أيها الأعرابي، كما رفعتَ إليَّ حوائج عباد الله وأسمعتني كلامهم فأوصل كلامي وارفع حاجتي إلى الله تعالى، فحوَّل الأعرابي وجهه نحو السماء وقال: اللهم اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنعه في عبادك، فما استتمَّ كلامه حتى ارتفع غيم فأُمطروا مطراً غزيراً.

والخامس منها: أن الله تعالى أمر في الآية بالحكم بالحق أي بالعدل لا بالجور والظلم والميل والرشوة، كما قال عليه السلام: **((ما من أمير عشرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولاً حتى يفكّ عنه العدل أو يوبقه الجور))** [أحمد والطبراني والبيهقي]

وقال قتادة: الظلم ثلاثة أضرب: ظلم لا يغفر لصاحبه، وظلم لا يبقى، وظلم يغفر لصاحبه، فأما الظلم الذي لا يُغفَر لصاحبه، فهو الشرك بالله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، وأما الظلم الذي لا يبقى فإنه ظلم العباد بعضهم لبعض، وأما الظلم الذي يُغفَر لصاحبه فهو ظلم العبد نفسه بارتكاب الذنوب ثم يرجع إلى ربه ويتوب، فإن الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنه.

والسادس منها: لما أمر الله تعالى في الآية بالحكم بالعدل فينبغي للحاكم أن يحكم لأجل الله تعالى، لا لأجل خاطر الخلق ولا للرياء والسمعة.

والسابع منها: أنه تعالى قال في الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ يعني لا تتبع الهوى في جميع الأوقات وفي جميع الأمور، واتباع الهوى أصل جميع المعاصي؛ لأن فرعون ادّعى الألوهية بسبب الهوى، وبني إسرائيل عَبدوا العجل بسبب الهوى وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية : 23]، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء حين يلقاه، إلا مَن عَدَل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل مع أقاربه ولم يبدل حكماً لخوف أو طمع، لكن يجعل كتاب الله ميزانه ونصب عينه ويحكم بما فيه).

والثامن منها: أنه أشار بقوله: ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى أن متابعة الهوى يضلُّ صاحبه عن طريق الحق، ومخالفةَ الهوى يهدي صاحبه إلى الجنة كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:40-41]

فينبغي أن يكون الملك متديناً محباً للدين والعلماء والصالحين؛ لأن الدين والمُلك مثلُ أخوين وُلِدا في بطن واحد.

... ويجب أن يعلم أن صلاح الناس في حسن سيرته، ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركُه على مراده أفسد سائر أموره في بلاده.

والتاسع منها: أنه أشار في الآية بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ إلى أن مَن ضلَّ عن سبيل الله وأصرَّ على ذلك ولم يستغفر ولم يتُب عن ضلاله فإنه يعذَّب في العذاب الشديد.

وقال سقراط: علامة المَلك الذي يدوم مُلكُه أن يكون الدين والعقل حبيبَي قلبِه ليكون في قلوب الرعية محبوباً، وأن يكون العقل قريباً منه ليكون عند العقلاء قريباً، وأن يكون طالباً للعلم ليتعلم من العلماء، وأن يكون فضله كثيراً ليعظم عند الفضلاء، وأن يكون مبعِداً عن مملكته ذا العيوب ليُبعد عنه العيوب، وكلُّ ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بمملكته، ويسرع إليه دواعي هلكته، ويتلف أقرباؤه على يديه.

والعاشر منها: أن الله تعالى أشار بهذه الآية إلى أن الخلافة من الأمور التي تجتمع معها النبوة، فلا يبقى للملوك والأمراء عذر بأن قالوا لا يحصل بالخلافة العبادةُ ومصالحُ الدين، لأنَّ الملوك يشتغلون بمصالح المسلمين، بل الخلافة أتمّ الأمور التي بها تصلح أمورُ الدين والدنيا ويُقرَّب العباد بها إلى الله تعالى).

أيها الإخوة:

هذا تقرير مختصر سمح به الوقت للتعريف بواحد من كتب السياسة الشرعية.

كتاب: "الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء"، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجيزي

عسى الله أن ينفعنا بما سمعنا جميعاً.

والحمد لله رب العالمين